العُزَيرُ وحِمارُهُ

النَّوْمُ كالمَوْتِ والاسْتِيقَاظُ كَالبَعْثِ

العُزَيْرُ وحِمَارُه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ
فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ ۖ
لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ
بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ
وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى
ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ سورة البَقَرَة

عُزَيْرٌ رجُلٌ من بَنِي إسرَائيلَ كانَ صَادِقاً في كُلِّ قَوْلِهِ، آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ في أقْوَالِهِ وأعْمَالِهِ.

وكانَ يرْجِعُ إليْهِ الناسُ ليُقَدِّمَ لهُمُ النُّصْحَ والوَعْظَ منَ التَّوْرَاةِ التي حَفِظَهَا عِندَمَا كانَ صغِيراً، كما كانَ مُتَوَاضِعاً يُحَكِّمُهُ الناسُ في مُشْكِلاتِهِم.

رَجُلٌ عابِدٌ

كانَ عُزَيْرٌ يعْمَلُ في حَدِيقَةٍ بِهَا الكَثِيرُ منْ خَيْرَاتِ اللهِ كَالنَّخْلِ والتينِ والزَّيْتونِ والعِنَبِ، وكانت حَدِيقَةً جميلةً وهادِئَةً يستَرِيحُ تَحْتَ أشْجَارِهَا بعْدَ عَمَلِهِ وتَعَبِهِ، وكانَ دائمَ التعَبُّدِ والتفْكِيرِ، وبَعْدَ استرَاحَتِهِ وتَعَبُّدِهِ يَعُودُ لمَنْزِلِهِ بعدَ أنْ

5

يحْمَدَ اللهَ ويَشْكُرَه.

وفي يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ كانَ عُزَيْرٌ خَارِجاً منْ مَنزِلِهِ رَاكِباً حِمَارَهُ ومَعَهُ بَعْضُ طَعَامِهِ ومُتَّجِهاً نَحْوَ الحَدِيقَةِ التي يحْرُسُهَا ويعْمَلُ بِهَا، وإذَا بِهِ يَتَوَقَّفُ عنْدَ مَكَانٍ مَهْجُورٍ هو آثَارٌ لقَرْيَةٍ هَلَكَتْ ومَاتَ أهْلُهَا منْ قُرُونٍ، فَنَظَرَ إلى بَقَايَا حُطَامِهَا وقالَ: "أنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بعْدَ مَوْتِهَا؟".

كَانَ هذَا التسَاؤُلُ للاطْمِئْنَانِ فَقَطْ، فَكَانَ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أنْ يطْمَئِنَّ قَلْبُهُ.

فَأَمَاتَهُ مِائَةَ عَامٍ

فلَمَّا قالَ عُزَيْرٌ ذَلكَ أَرَادَ اللهُ أنْ يُعْطِيَهُ دَرْساً

حقِيقِيًّا عمَلِيًّا فِي البَعْثِ، فأَمَاتَهُ هوَ وَحِمَارَهُ.

ومَرَّتِ الأيَّامُ والسَّنَوَاتُ ، وبَعْدَ مائَةِ عامٍ أرَادَ اللهُ أنْ يُحِيِيَهُ، فَبَعَثَهُ وقالَ لَهُ: " كَمْ لَبِثْتَ؟ " فَتَلَّفَتَ عُزَيْرٌ حَوْلَهُ وقَالَ: " لَبِثْتُ يوْماً أو بَعْضَ يَومٍ "، فَقَالَ اللهُ لَهُ: " بلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ " تَعَجَّبَ عُزَيْرٌ وقَالَ: يا سُبْحَانَ اللهِ إنَّهَا لَقُدْرَتُكَ وأنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ، وأَرَادَ اللهُ أنْ يَزِدْهُ اطْمِئْنَاناً فقالَ لهُ: " فَانْظُرْ إلى طَعامِكَ وشَرَابِكَ لمْ يَتَسَنَّهْ " فهذا طَعَامُكَ وشَرَابُكَ يا عُزَيْرُ قَدْ مَرَّتْ عليْهِ السَّنَوَاتُ وطَعْمُهُ كَمَا هوَ لمْ يَتَغَيَّرْ.

حَمِدَ عُزَيْرٌ رَبَّهُ وشَكَرَهُ، وبَعْدَ أنْ هدَأَ قَالَ:

أيْنَ حِمَارِي الذِي كُنْتُ أرْكَبُهُ؟

آيَةٌ للناسِ

ولحَظَاتٌ ورَأى حِمَارَهُ تَتَجَمَّعُ عِظَامُهُ شيْئاً فشَيْئاً حتى نَهَضَ الحِمَارُ واقِفاً، فقَالَ اللهُ لَهُ: " وانْظُرْ إلى حِمَارِكَ ولِنَجْعَلَكَ آيَةً للناسِ وانْظُرْ إلى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً..".

بَعْدَ ذلكَ عَادَ عُزَيْرٌ إلى قَرْيَتِهِ فلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ، بلْ خَافَ الناسُ مِنْهُ وكَذَّبَهُ بَعْضُهُم وهوَ يَقُولُ لهم " أنا عُزَيْرٌ "، إنَّهَا مِائَةُ عامٍ بأَكْمَلِهَا تَغَيَّرت فيهَا أحْوَالٌ كثيرةٌ.

العَوْدَةُ لبَيتِه

وَصَلَ عُزَيْرٌ إلى بَيْتِ أبِيهِ وهوَ مُتَشَكِّكٌ أَهُو عُزَيْرٌ أمْ لا، ولَمَّا دَقَّ البَابُ رَدَّتْ علَيْهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عمْياءُ سَأَلَت عَمَّنْ بِالخَارِجِ، فَسَأَلَهَا: أَهَذَا بَيْتُ عُزَيْرٍ؟ بَكَتِ العَجُوزُ وقالت: نَعم، إنَّهُ بَيْتُ عُزَيْرٍ الذي نَسِيَهُ الناسُ ولمْ يَذْكُر اسْمَهُ أحَدٌ مُنْذُ سِنِينَ، ثم قَالَتْ: مَاذَا تُرِيدُ؟

قالَ: أنَا عُزَيْرٌ

فقَالَت لَهُ: يا هَذَا لا تَهْزَأْ بِي.

قالَ عُزَيْرٌ: إنَّ اللهَ أمَاتَنِي مِائَةَ عامٍ ثم بَعَثَنِي، واللهُ علَى كُلِّ شيْءٍ قدِيرٌ.

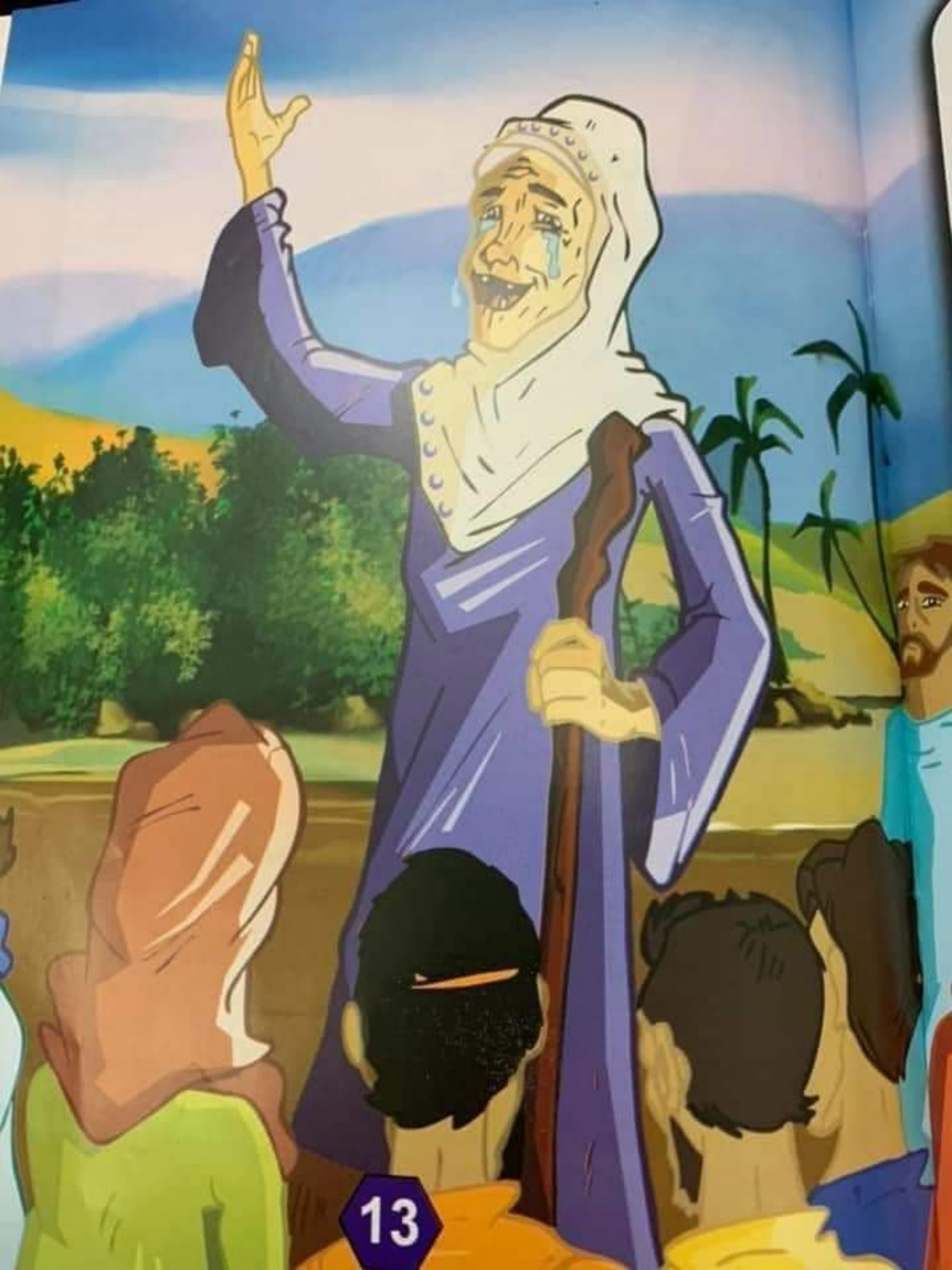

دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ

فَتَحَتِ العَجُوزُ العَمْيَاءُ الدَّارَ وقالَتْ لَهُ: إنْ كُنْتَ صَادِقاً فإنَّ عُزَيْراً كانَ رجُلاً صَالِحاً مُسْتَجَابَ الدَّعوَةِ، فادْعُ اللهَ أنْ يَرُدَّ لِي بَصرِي، وبذلك أَرَاكَ وأَعْرِفُكَ.

تَوَجَّهَ عُزَيْرٌ إلى اللهِ ودَعَاهُ، فَعَادَ إليْهَا بَصَرُهَا، فلَمَّا أبْصَرَتْ وَرَأَتْ عُزَيْراً فَرِحَتْ بِهِ كثيراً، ثم صَاحَتْ في النَّاسِ: هذَا وَلَدِي عُزَيْرٌ، والناسُ يَضْحَكُونَ فِي سُخْرِيَةٍ واسْتِهْزَاءٍ ويَقُولُونَ: إنَّهَا عَجُوزٌ تَهْذِي لِكِبَرِ سِنِّهَا، ولكِنَّهَا قالت لَهُم: أَلَمْ أَكُنْ أَنَا العَجُوزُ العَمْيَاءُ، ها أنَا قَدْ أَبْصَرْتُ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ عُزَيْرٍ.

دَلِيلٌ آخَرُ

تَعَجَّبَ النَاسُ كثيراً، ثم جَاءَ رَجُلٌ شَيْخٌ، إِنَّهُ ابْنُ عُزَيْرٍ فقَالَ: إنَّ أبِي كَانَ بِهِ عَلامَةٌ سَوْدَاءُ بيْنَ كَتِفَيْهِ، فَقَامَ ووَضَعَ يَدَهُ بينَ كَتِفَيْ عُزَيْرٍ فَوَجَدَ العَلامَةَ.

هنَا صَدَّقَ النَاسُ أنَّ هذَا الرَّجُلَ هو عُزَيْرٌ، وتَذَكَّرُوا التارِيخَ المَاضِيَ والأحْدَاثَ التي كَانُوا يَعِيشُونَهَا.